مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 10 عدد 2 ديسمبر 2019 ص.ص 369-406
المعالم التاريخية في المناطق الصحراوية

المعالم التاريخية في المناطق الصحراوية ودورها في الجذب السياحي بالجزائر في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين

سليمة بودخانة
جامعة الجزائر 2، sboudoukhana@gmail.com

تاريخ الإرسال: 30/ 07/ 2019؛ تاريخ القبول: 21/ 11/ 2019

Historical monuments in desert areas and their role in the tourism attraction of Algeria in the nineteenth century through the writings of French travellers.

Abstract:

After occupation, Algeria knows a wave of private and official travels done by famous as artists, painters writers, intellectuals and officials political, religious and special delegate even amateurs of travels and discovering, Theses travellers has written theirs trips in travelogue, motion picture of journeys, rapport of travel drawing table, rough drawing, drama, and all of these ones reveal Algerian society and attract the readers of metropolis who becomes impatient to know the other.

The Cultural Centers and towns as Laghouat and Biskrawere the preferred destinations for the French travellers who come to explore them and emerged through adiverse

المؤلف المراسل: سليمة بودخانة
sboudoukhana@gmail.com

writings which introduce the local community and the city's landmarks. These writings had an impact on the tourism of the settlement its cities cultural features and cultural heritage, and on that we focused in this presentation.

The desert tourism exploring the importance of desert and the emergence of scientific studies and official missions and individual trips including studies of officers as Daumas, Trumelet, Cavaignac and others. For some people desert represented fear and admiration while others give a projection of the new world, others linked these explorations with discovering the new world and some others represented animage of relaxation, fun hunting trips deer and ostrich hunting which was organized with the Arab cavalry, Also archeology played an important role in tourism attractions like l'ksours and desert cities that flourished in the economic life as Biskra and Laghouat.

Keywords: The settlement of Algeria; desert areas; French Travelers; Historical monuments; tourism.

الملخص:

عرفت مستوطنة الجزائر مع بداية الاحتلال الفرنسي موجهة من الرحلات الخاصة والرسمية بكل أصنافها، قام بها المشاهير من الفنانين والرسامين والأدباء والمثقفين والرسميين من رجال سياسة ودين ومبعوثين خاصين، وكذلك العامة من هواة السفر والاكتشاف.

وقدم الرحالة كتابات في إطار ما صنف بأدب الرحلة أو تقارير عن الرحلات وبعضهم قدم لوحات فنية ورسومات ومقاطع مسرحية وكلها ترصد المجتمع المحلي وتُعرف به في "الميتروبولتان" وتجذب إليه القُراء وتُشوقهم للتعرف على الآخر فكانت المراكز الحضارية والمدن كالأغواط وبسكرة الوجهة المفضلة لعديد الرحالة الفرنسيين بهدف استكشافها فبرزت من خلال رصيد ثري بكتابات متنوعة كانت السبّاقة للتعريف بالمجتمع المحلي وبمعالم المدينة. وكان لهذه الكتابات أثر في تنشيط الحركة السياحية للمستوطنة ومدنها ومعالمها الحضارية وإرثها الثقافي الإنساني، وهذا ما ركزنا عليه في هذا العرض.

في حديثنا عن السياحة الصحراوية والاستكشاف نبين أهمية الصحراء والجهة الشرقية بالخصوص وظهور موجة من الدراسات العلمية والبعثات الرسمية والرحلات الفردية طيلة منها دراسات الضابط دوماس (Daumas)، تريمولي (Trumelet) وكافينياك (Cavaignac) وغيرهم.

مثلت الصحراء للبعض صورة غامضة بين الخوف والإعجاب في حين أعطى البعض إسقاطا لصورة العالم الجديد على الصحراء، والبعض الآخر ربطها بالاكتشافات الجغرافية للعالم الجديد، في حين

مثلت للبعض صورة للاسترخاء والمتعة والصيد كرحلات صيد الغزلان والنعام الذي كانت تنظم برفقة الخيالة العرب.

وكان للآثار والعمران دور في الجذب السياحي كالقصور (Ksours Les) وهي متعددة منها قصور الأغواط كـقصر تاجموت وقصر عين ماضي وغيرهم. واشتهرت المدن الصحراوية وازدهرت بها الحياة الاقتصادية إذ نرصد نماذج لبعض المدن كمدينتي بسكرة والأغواط ومعالمهم السياحية.

الكلمات المفتاحية: مستوطنة الجزائر؛ المناطق الصحراوية؛ الرحالة الفرنسيين؛ المعالم التاريخية؛ السياحة.

مقدمة:

يعتبر القرن التاسع عشر مرحلة انتقالية لنهاية العهد العثماني وبداية الفترة الاستعمارية،إذ عرفت البلاد تغيرات اجتماعية واقتصادية ارتبطت بالوضع السياسي الجديد فكانت المراكز الحضارية ومنها المدن الصحراوية كالأغواط وبسكرة الوجهة المفضلة لعديد الرحالة الفرنسيين الذين جاؤوا لاستكشافها والتعرف عليها وعلى ساكنتها، فبرزت من خلال رصيد ثري بكتابات متنوعة كانت السبّاقة في التعريف بالمجتمع المحلي ومحاولة فهم كل بمُكوناته من الداخل كما عرفّت بمعالم المدينة التي

كتب عنها الكثير ممن زاروها، إذ كانت جزءا ثابتا وقارا في مسار وطريق الرحلات.

وكان لهذه الكتابات أثر ملحوظ في تنشيط الحركة السياحية للمستوطنة ومدنها والتعريف بمعالمها الحضارية وإرثها الثقافي الإنساني العالمي،وترتكز إشكالية دراستنا حول المناطق الصحراوية في كتابات الرحلة وتأثيرها في تنشيط السياحة والتعريف بالمدن الصحراوية كـ بسكرة والأغواط بمستوطنة الجزائر في القرن التاسع عشر ودور المعالم التاريخية في الجذب السياحي والبعد الاقتصادي للسياحة الصحراوية خاصة.

عنونا دراستنا بـ: «**المعالم التاريخية في المناطق الصحراوية ودورها في الجذب السياحي بالجزائر في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين**». وركزنا في دراستنا على السياحة الصحراوية والاستكشاف والآثار كالقصور ودورها في الجذب السياحي بهدف إبراز الدور الفعلي للمعالم الحضارية في الجذب السياحي والقيمة الإنسانية للموروث الثقافي للجزائر.

أولا: السياحة الصحراوية والاستكشاف.

مثلت الصحراء والجهة الشرقية خصوصا أهمية استراتيجية للاحتلال الفرنسي، وبرزت من خلال الدراسات العلمية والبعثات الرسمية والرحلات الفردية،فكان اهتمام الفرنسيين بالصحراء الواقعة في حدود مناطق سيطرتهم الممتدة من الشرق إلى الغرب بمحاذاة الحدود التونسية والمغربية والجنوب(243،242،241 :DAUMAS 1853 .(Eugene,

تجسد الاهتمام على شكل دراسات وكتابات، وكان لهذا النوع من الدراسات عن الصحراء الجزائرية انتشارا كبيرا ومنها دراسات الضابط دوماس، الذي درس الصحراء بعمق خاصة منذ الحملات الأولى للاحتلال الفرنسي عام 1844 وساهم في التعريف بالصحراء جغرافيا وبشريا (التضاريس، الإثنوغرافيا والأنثروبولوجيا) واقتصاديا وأسهب في الحديث عن الصحراء في كتابه (عادات وتقاليد التل– القبائل– الصحراء)، كذلك دراسات كل من تريمولي (Trumelet) وكافينياك (Cavaignac) وغيرهم،وكانت مجمل الدراسات تدور حول المظاهر التضاريسية والمناخ ومصادر المياه والقبائل الساكنة للمنطقة.

أ. صورة الصحراء في مخيلة الفرنسيين.

مثلت الصحراء لبعض الرحالة الفرنسيين صورة غامضة مليئة بالأسرار،فطريق الصحراء الشاسعة والمترامية الأطراف انعكس في أشكال متداخلة ما بين الخوف والإعجاب بالواحات والذهول (14: 1889GASCARD A,)، في حين البعض الآخر أعطى إسقاطا لصورة العالم الجديد على الصحراء،كما يصفها الكاتب الفرنسي قاسكار (Gascard) بقوله:»...فطريق الصحراء يذكرنا بالطريق المحرقة لسلسلة جبال سييرا نيفادا» التابعة للمستوطنات الإسبانية في العالم الجديد، ونلاحظ تكرر صورة الإعجاب في تمثيل التشابه بين المظاهر التضاريسية للصحراء بالمحيط، في حين البعض الآخر كالكاتب إقزافيي مارميي (MARMIER Xavier) ربط الاستكشافات والدراسات حول الصحراء والبعثات والرحلات بالاكتشافات الجغرافية التي قام بها كريستوف كولومب للعالم الجديد،وأشاد بالضابطين كاريت ودوماس ودراساتهما، إذ يقول: «...لقد عرفنا على الصحراء بواحاتها وقبائلها المزارعة والمُصنعة وقوافل التجارة والحج بها... والكولونيل دوماس عرفنا على كل مقاطعاتها ومدنها ودقائق النظام القبلي...» (MARMIER Xavier, 87 : 1847) في حين الصحراء للبعض فمثلت صورة للاسترخاء والمتعة ورحلات الصيد(CHARMETANT Félix, 1875 : 26).

ب.الآثار والعمران ودورهما في الجذب السياحي: القصور والمدن الصحراوية في الكتابات الفرنسية.

تتوزع المراكز السكانية بالصحراء في تباعد وكانت الآبار مراكز للراحة ومعالم للمسافرين، والطرق. وتتواجد على مسير كل ثلاثة أيام تقريبا، بكل واحة مدينة رئيسية، وتحيط بها القصور وتجاورها خيام القبائل المتحالفة التي تظهر في الربيع بقطعانها وتهاجر في موسم الصيف إلى المناطق التلية لشراء ومقايضة الحبوب بمنتوجاتها وتعود دوما في شهر نوفمبر لقضاء الشتاء مع دويها (DAUMAS Eugène,1853 : 241, 242,243).

سكن الصحراء الرحل وسكان القصور الذين يمثلون الحضر المستقرين،وكانت حاجة الطرفين متبادلة لبعضهم البعض إذ مثلت القصور مطامير الرحل الذين يهاجرون إلى المناطق التلية لممارسة المبادلات التجارية فيجلبون القمح مقابل التمور، ورغم أن سكان القصور يزرعون الحبوب إلا أن الإنتاج كان قليلا وغير كاف كما كانوا يمتهنون ببعض الصناعات اليدوية الحرفية البسيطة التي تمثل سلع للرحل(JACQUOT Félix,1849 :262,265). وكانت القصور مناطق آمنةوأماكن للتخزين، إذ كان البدو الرحل يأتمنون سكان القصور على

مُؤنهم ومقتنياتهم الثمينة باعتبارهامناطق محصنة تحميهم وتحمي ممتلكاتهم من السلب على يد القبائل المعادية (JACQUOT Félix, 1849 :262).

وازدهرت الحياة الاقتصادية بالقصور،إذ انتشرت بها الأسواق وتعددت، فمثلا في الأغواط كان هناك سوقين الأول خاص بقبائل السرغين يدعى سوق القاع، والثاني خاص بقبائل الهلالف يدعى سوق لخيار والذيكان به فندق به أقواس يستظل بها التجار أثناء التداولات التجارية. وكان يؤم هذا السوق عدة قبائل كالعربة، العمور، أولاد خليف، أولاد الشعايب، المخاليف، أولاد نايل، الرحامن، بني ميزاب الغازلية، أولاد مختار،أولاد سيدي عطاالله، السعايد، أهل بوسعادة والشعانبة وغيرهم من القبائل الصحراوية.

وتنوعت السلع والمعروضات إذ اختصت كل قبيلة بعرض وبيع سلع محددة فمثلاكان بني ميزاب يعرضون البارود والعبيد والغازلية يعرضون الأسلحة التي كانوا يتحصلون عليها عبر تقرت، وسكان بوسعادة يعرضون الصوف والزيوت. بينما القبائل البدوية المرتحلة تعرض الزبدة والتمور والحبوب التي تجلبها من التل وأيضا المواشي والأجبان وغيرها من السلع، أما الشعانبة فيتاجرون بالعبيد بتوجيههم

إلى المناطق التلية للبيع أو المبادلة بالحبوب. في حين كان سكان الأغواط يشترون هذه السلع أو يبادلونها بمنتجاتهم النسيجية من الحياك بكل أنواعه وجبب الصوف التي تنسجها النسوة مقابل بعض المصنوعات الحرفية من فؤوس ومحاريث وسككها وآلات فلاحية متنوعة والتوابل والعطوروالبُن، وسلع أخرى كانت تأتيهم من تونس عبر تقرت ثم أصبحت فيما بعد تأتيهم مباشرة من الجزائر العاصمة.

وتنتشر بالقصور أيضاالصناعات الحرفية من حدادة ونجارة كما ينتشر بها الدكاكين، أما العائلات اليهودية فكانت تمارس الصياغة والنسيج والصباغة. وعادة بعد عمليات الحصاد صيفا يتوجه سكان القصور في مجموعات صغيرة إلى المناطق التلية للتزود بالحبوب والقيام بالتبادل التجاري(DAUMAS Eugene / :20,21).

كانت مجمل التجمعات السكانية مُسورة تحيط بها المناطق الخضراء من غابات النخيل والأشجار المثمرة بأعداد كبيرة، وهذا ما يعكس الصورة العامة للقصور كقصر مدينة الأغواط الذي يصفه الكاتب بول أودال بأنه قصر عتيق ويُمثل معلما سياحيا ومزارا دائما للسواح والزوار لمدينة الأغواط، إذ تم بناءه عام 1629من قبل تجار أغواطيون على الطراز الصحراوي به سوق ودكاكين ويمثل نموذج القصور الصحراوية

(EUDEL Paul, 1909 :316). ومثلت القصور خصوصا والواحات عموما مصادر اقتصادية قارة ودائمة للسكان إذ تتوفر بها المياه كما تنتشر بها الآبار الارتوازية بأعداد ليست بالقليلة، وزاد استخدامها بعد التوسع الاستعماري(MARMIER Xavier, 1847: 76).

ج.نماذج لبعض القصور (Les Ksours).

كانت القصور محط جذب الزوار كما تعددت الكتابات الفرنسية التي وصفت القصور وعرّفت بها، ونعرف ببعض القصور بمنطقة الأغواط والتي تميزت بالانتشار الكبير للقصور.

قصور الأغواط .

ميزت القصور المظهر العمراني لمدينة الأغواط، فنجد بناء البيوت بأبعاد متغيرة بشكل مربعات بها نوافد ومسقفة بعليات،وكانت تشكل مناظر مميزة أعلى الأسطح لرجال على الأسطح يقومون بعمليات الصيانة أو أشكال لنسوة بملابسهن الرفرافة يتجولن على الأسطح، وحظيت المدينة بتحصينات لحمايتها من الغزاة ,FALLOT Ernest)(95: 1887. وما ميز قصورها قصبة بني سالم المشهورة والتي كانت بمثابة قلعة محصنة بها أربعة منازل كبيرة بطابقين إذ تطلب علياتها على تلك القصور(TRUMELET Corneille, 1863 :410)، وكانت القصور

مبنية من الطين المجفف وأبوابها خشبية (FALLOT Ernest, 1887 :95).

بالأغواط قصور تابعة للمدينة، وتنتشر في سلسلة جبال العمور هي في الأصل قصور قبائل الرواتيس، وأهم قصورها العاسفية، تاجموت، تاجرورة، عين ماضي، الماية وقصر الحيران. وتشترك هذه القصور في المظهر العمراني للقصور الصحراوية (GUIDE PRATIQUES :601 Conty, 1901) خاصة البساتين المنتشرة في الواحات الصحراوية التي يُعبر عن جمالها الرحالة بول صوليي رائد البعثات الاستكشافية للصحراء خاصة صورة انعكاس لون السعف الأخضر وعكسه لأشعة الشمس وتلطيفه للجو، وبذلك تمثلا لبساتين منظر متناسق بتعدد ألوان مكونات وعناصر الواحة ومحيطها الذي جذب الكثير إلى زيارتها (5،6: SOLEILLET Paul, 1877)وسنعرض نماذج لأهم قصور الأغواط.

قصر تاجموت.

من أشهر قصور الأغواط، وتعني تسميته المطر ويقع على بعد 31 كلم شمال غرب الأغواط، بني على ربوة صغيرة ينبع منها واد مزي، وأسس هذا القصر الأغواطيين الفارين من الحروب الداخلية به مئات المنازل تحيط بها بساتين جميلة. كما يصفها كذلك الكاتب الفرنسي الذي زار البلاد ونشر رحلته أوجين فرومونتان (EugèneFromentin) إذ

يقول:»...لم أرى أي قرية عربية في تنظيمها وتناسق منظرها الجميل الذي يبعث على السعادة كتاجموت، فهي تغطي هضبة صخرية مثلثة الشكل قاعدتها يكسوها غطاء أخضر من الأشجار المثمرة والنخيل....،ويحيط بهذه البساتين أسوار خارجية تفصل بينها مسافات متقاربة،وهي عبارة عن تحصينات متداخلة بأشكال هرمية تزيدها رونقا....وتتداخل فيها الألوان لتعكس لونين رمادي مع بزوغ الفجر ليميل للذهبي مع طلوع الشمس... وتوجد بالمدينة قبتان واحدة بيضاء والأخرى حمراء....وتمثل مدينة تاجموت حسب الرسام فرومونتان لوحة شرقية بتماوج جبالها وتمازج الألوان(PIESSE Louis, 1882:119). يُوصف هذا القصر بأنه جميل وصغير(DAUMAS Eugene, / :27)وحتى بول صوليي في بعثته الاستكشافية للمنطقة وصف قصر تاجموت ببساتينه الجميلة المليئة بالأشجار المثمرة والمتنوعة وتجارته المزدهرة(GROS Jules, :22 1888).

قصر عين ماضي.

يقع هذا القصر على بعد 60 كلم غرب مدينة الأغواط في جبال العمور، ويمثل مدينة صغيرة تقع على ربوة مرتفعة ودائرية محصنة على شكل هلال، وهو سور محصن تتخلله قبب محلية وتحيط به منطقة

خضراء من البساتين، وتضرر هذا القصر عدة مرات وبدرجات متفاوتة خلال فترات مختلفة بسبب الصراعات حسب الروايات، ويعود هذا القصر للعائلة التجانية (PIESSE Louis, 1882:115،116،118، 119).

قصر الحويطة.

يعرف بالحائط الصغير، يقع على بعد 42 كلم جنوب شرق عين ماضي، وهو قصر يتكون من 40 إلى 50 بيت، وبني هذا القصر فوق مرتفع يطل على منبع مياه يروي البساتين ثم يصب في خزانات القصر.

قصر العسافية.

يقع على بعد 10 كلم شمال شرق الأغواط، ومثل هذا القصر لعنة انقسام الأغواطيين في الثقافة الشعبية، وتروي القصص الشعبية عن كرولونوجيا هذا الصراع. ويقال أن سكان الأغواط إلتجأوا للولي الصالح الحاج عيسى للقضاء على العسافية مقابل قيمة من المال، فقضى الولي على القصر لكن الأغواطيين لم يوفوا بوعدهم فمستهم لعنة الانقسام والدمار كصراع عام 1842 أثناء الصراع بين الحاج العربي خليفة الأمير عبد القادر وأحمد بن سالم حاكم الأغواط. وتخليدا لهذا الولي شيد الأغواطيون قبة تعرف بقبة سيدي الحاج عيسى، وهو نفس الولي الذي ردد الفرنسيون رؤياه عند قدوم الاحتلال الفرنسي للمنطقة في محاولة لإعطاء الشرعية للاحتلال ونشر فكرة أنه قضاء وقدر.

قصر الحيران.

ويعرف بقصر الحدائق،يقع على بعد 30 كلم شرق الأغواط في الضفة اليمنى لواد جدي وبه مئات البيوت وتحيط به الحدائق، بني هذا القصر منذ ستون سنة على يد أحمد بن سالم ودمر جزء كبير منه مثل قصر العسافية على يد الحاج العربي عام 1842. وبالتالي تعتبر هذه القصور معالم عمرانية، وإرث تاريخي محلي مرتبط بالمنطقة إذ مثلت مدن وتجمعات سكنية ومراكز حضارية نموذجية في المناطق الجنوبية، وتميزت بخصائصها العمرانية والهندسية عن المناطق الأخرى إذ تعبر عن التكيف مع الطبيعة والانسجام والتعايش معها، وتبقى إرث حضاري وموروث ثقافي محلي يميز مناطقنا الصحراوية وجب الحفاظ.

ثانيا: نماذج لبعض المدن الصحراوية: مدينتي بسكرة والأغواط معالم سياحية ومزارات للرحالة.

أ. بسكرة منتجع شتوي وفضاء لرحلات الصيد.

حظيت بسكرة بعديد الكتابات التي اعتبرتها معلما حضاريا في المنطقة وإرثا ثقافيا في البلاد، فما كان زائرا يفد إلا وزارها ومثلت جزءا ثابتا وقارا في مسار وطريق الرحلات التي تمر منها،ويصفها الكاتب نيال أوليدون (NielOdilon) وصفا دقيقا،إذ يبدأ الوصف بواد القنطرة، في

يمينه جبل تيلاتو (Tilatou) وفي شماله جبل قاوس (Gaous) وتنحدر الطريق بمنفذ كول الذي كان يتوجسه التجار بسبب إنتشار قطاع الطرق حوله،ويصف قرية القنطرة أو(HerculisLe calceus). كما يطلق عليها الرومان وتمتد على طول 5 كيلومتر،بها كتابات نقشية تُذكرُ بمرور لواء أوغيست(Auguste) إذ نجد بها آثار تعود للحقبة الرومانية من أعمدة وبقايا أبنية تؤكد أهمية القنطرة بالنسبة للرومان،وتقع على إرتفاع517 متر على مستوى البحر. كما تنتشر بها المساجد وواحات النخيل وأشجار المشمش،والطريق المؤدي إليها والموازية شمالا للوادي في حالة جيدة،وبعد الاحتلال شُيدت بها مستوطنة فرنسية تميزت بالأشجار المثمرة التي تزينها على أطرافها، وتنتشر بها مزارع الزراعات المعاشية التي تحيط بالمنازل المستوية والمنحدرة في منظر جميل أين يوجد فندق برترون (Auberge Bertrand).

بأقاصي القرية يضيق الطريق ويلتقي بمر منحوت بفعل المياه يطلق عليه العرب بـفم الصحراء،ثم يتحول مسار الطريق من الضفة اليمنى للضفة اليسرى للقنطرة على عمود واحد تغير بعد عمليات الترميم الحديثة، ليصبح عمودين حديثي النشأة (ODILONNiel, 1876 :395)، ويرتفع حائطان من الصخور على الجهتين بارتفاع 60 متر علو، غربا

غطاء نباتي متنوع وفجأة يتغير المنظر في صورة صحراوية تفاجئ الزائر وهذه هي واحة القنطرة.

هذا ما يؤهلها للريادة في السياحة سواء الموقع أو الآثار التي تعود إلى الفترة الرومانية، إضافة إلى الخدمات التي وفرتها الإدارة الفرنسية لتسهيل تنقل السائحين والزوار إلى منتجعات بسكرة الشتوية. وكان ببسكرة منشآت خدماتية منها محكمة وكنيسة ومدرسة ومكتب عربي ومستشفى عسكري ومكتب بريد ومكتب للتيليغراف وهذا الخط يصل بسطيف ومركز للدرك ومحافظ الشرطة وسوق كبير، وبالتالي كانت بسكرة كبقية المراكز المدنية الكبرى في المستعمرة.

تميزت المنطقة بواحاتها ومنتجاتها، ومن أهم الواحات بالمنطقة التي تم وصفها واحة الوطاية بمعنى الهضبة الممتدة على مدى البصر (La Plaine à perte de vue) بها مجموعة معتبرة من الآثار، ويوجد بها النخيل، وتنتشر بها زراعة القطن والحبوب وتربية النحل، إذ كان بها نموذج لمزرعة نموذجية هي مزرعة السيد دي فور(M.Dufour). كما تزدهر بها الصناعات النسيجية كحياكة البرنوس والحايك، بعدها نجد مجاز الصفاء آخر نقطة من الأوراس وتمثل منظر مميز من الأعلى تبدو فيه

للناظر واحات بسكرة القريبة كنقاط خضراء أما الواحات البعيدة فتبدو كنقاط سوداء وتمثل أبواب الصحراء (ODILON Niel , 1876 :396).

نجد بواحات بسكرة غابات النخيل وأشجار الزيتون والخضر والحبوب، ويمر وادي بسكرة أو وادي القنطرة وسط ثلاث قرى من جهته اليمنى،ويروي الأراضي المحيطة وبالضفة اليسرى للوادي توجد واحة فيلياش وهي منطقة مخضرة(ODILON Niel, :402 1876)وواحات الزيبان أربعة واحات زاب البسكرة والزاب الشرقي الذي ينقسم إلى قسمين الزاب القبلي والزاب الظهراوي.

أ .أ.بسكرة منتجع شتوي.

أصبحت مدينة بسكرة مزارا ثابتا للزوار بفضل خصائصها إذ مثلت مركزا للتخييم والتداوي وتحولت إلى منتجع شتوي جذب السائحين الفرنسيين والأوروبيين، وكان الزوار يقتطعون تذاكر القطار باتجاه بسكرة عبر خط القنطرة حيث يكون الوصول في وقت قصير عبر الأنفاق للولوج للواحات الخضراء الواسعة، وتتنوع المناظر المرافقة للرحلة إذ يوجد في هذه الواحات قريتين عربيتين بمنظرهما الشرقي الجميل، ثم ينقطع المنظر قرابة ست ساعات وليلة كاملة حتى الوصول إلى بسكرة وفور الوصول يتغير المنظر إذ يتفاجأ الزوار بالمكان،. كما يورد الرحالة

الفرنسي وعضو الجمعية الأنتروبولوجية آرموند ثخيميدي فونتراس (Armand Trumet De Fontarce) بقوله: «...تصورنا المكان خال لكن عند نزولنا من القطار وجدنا مجموعة من العرب يتكلمون اللغة الفرنسية،كانوا يعرضون علينا حمل أمتعتنا كما في الدول الأكثر تحضرا،... وتوجهنا إلى نزل الصحراء نقلتنا عربة ورافقنا مرشد عربي اسمه شعبان يجيد التكلم بالفرنسية ووضعنا رفقته برنامجا للرحلة، وكان النزل نظيفا وهادئا، وبعد وجبة العشاء أخذنا شعبان في جولة بدأناها من مقهى عربي أين حضرنا رقصة للنايليات، وكانت راقصات صغيرات في السن بثياب محلية تقليدية ويضعن الحلي على رؤوسهن...» (50-HURABIELLE Jean , 1899:49).

كذلك الرحالة الفرنسي آلفريد بارودون (Alfred Baraudon) يورد لنا وصفا مفصلا لبسكرة في مسار رحلته خصيصا من قسنطينة إلى بسكرة. إذ تحدث عن عادات وتقاليد السكان، نمط المعيشة، أنواع الملكية، نظام استغلال الأرض والحياة الاقتصادية للسكان من زراعة وتجارة برصد صورة القوافل المنتشرة على طول الطريق كمؤشر على نمو وازدهار التجارة.

في وصفه لمدينة بسكرة يقدم لنا الكاتب الرحالة آلفريد بارودون صورة أسطورية عن المدينة، بدءاً من التسمية وصولا إلى مظاهر الواحة والشوارع والسكان وربط تسمية بسكرة بالخمر وسمائها الأزرق وأشعة شمسها الدافئة. وعرض هذا الوصف بلغة جذابة عن المدينة والحياة الهنيئة والممتعة وواحاتها المشابهة لجنة عدن، فهي في نظره مكان للراحة يفصل الشمال عن الجنوب ويمثل محطة استراحة للتجار المتجهين للصحراء، ويطلق عليها تسمية خاصة وهي بسكرة اللذيذة (Biskra la délicieuse) بوديانها الجارية وواحاتها ألخضراء (-196 BARAUDON Alfred, 1893:170).

وأصبحت بسكرة منتجع سياحي هام، وقام الرحالة الزائر القس جان إيرابيال (L'Abbé Jean Hurabielle) كاتب الكاردينال لافيجري بقضاء عدة عطل شتوية في بسكرة ما بين 1889-1890 و1896 - 1897، مكث ستة أشهر بالمدينة وألف كتابا عنها أثناء إقامته بها. وقد أصبحت بسكرة منتجعا شتويا يقصده الزوار من مختلف الدول الأوروبية، وكانت تقام بها مخيمات بريطانية وسويدية وهولندية وأمريكية وألمانية وفرنسية.

فكانت القنطرة بنزلها بارترون تستقبل الزوار وتوفر احتياجاتهم وتحولت بسكرة إلى منتجع صحي طبيعي للتداوي بفضل مناخها حيث ينصح بالمكوث بها. فمثلا الكاتب والرسام الفرنسي الشهير آلفونص دودي (Alphonse Daudet) قدم لبسكرة للتداوي وهو الآخر ألف رحلته عن الجزائر في ما يعرف بأدب الرحلة وغيره كثير من المشاهير.

تزخر المنطقة بالآثار الرومانية بكل من خربال والبرجوشيدت في عهد الإمبراطور الروماني كاركلا(211 -217). وهي قريبة من القنطرة إذ تقع على بعد 7 كلم من منها، كما كان لمد خط السكة الحديدية سنة 1888 دور كبير في الجذب السياحي(HURABIELLE :5-6, 9, 12, 14 .(Jean , 1899

أ .ب.رحلات الصيد والسباق.

كانت رحلات الصيد المقامة في بسكرة من أهم عناصر جذب الزوار،إذ مثلت صورة للاسترخاء والمتعة والصيد كرحلات صيد الغزلان والنعام التي كانت تُنظم برفقة الخيالة العرب المُولعين بالصيد، ويستخدم نوع من كلاب الصيد المحلية المعروفة باسم السلوقي (Lévriers) في عمليات صيد الغزلان أما صيد النعام فيكون بمساعدة الخيالة الذين يجمعون النعام ويلاحقونه. وكان الهدف من عمليات

الصيد إضافة إلى المتعة واستهلاك اللحوم أهداف اقتصادية مرتبطة باستغلال ريش النعام وذهنه الذي استخدم كدواء لبعض الأمراض. وكانت رحلات الصيد تُحضر مسبقا، إذ مثلت متعة خاصة للزوار الذين كانوا يستقبلون من طرف السكان في خيامهم مما ترك أثراً واضحاً لديهم، إضافة إلى تعلقهم بالمنطقة التي تنوعت صورها المتعددة في مخيلاتهم (CHARMETTANT Félix, 1875 :26,27,28). ويشار إلى أن إقامة رحلات الصيد في هذه المنطقة كان مرتبط أيضا بثراء وتنوع الثروة الحيوانية البرية إذ توجد بها أنواع عديدة من الطيور والحيوانات.

وكذلك كان لمسابقات الخيول العربية والمهري بمدينة بسكرة دور كبير في الجذب السياحي للمنطقة، إذ كانت مؤسسة تربية الخيول لبسكرة تنظم سباق الخيول في واحة بني مرة. وينظم كذلك سباق المهري الذي أقامه الكاردينال لافيجري سنة 1890وتقدم مبالغ مالية للفائزين بهذا السباق، فمثلا الفائز بسباق المهري لسنة 1891 حاز على قيمة مالية معتبرة قدرت بـ 1000 فرنك فرنسي بعد أن قطع مسافة 366 كلم من ورقلة إلى بسكرة في 36 ساعة و20 دقيقة. وكان مسار هذا السباق الكبير ينطلق من ورقلة أو تقرت وصولا إلى بسكرة وعادة يقام هذا السباق في أجواء تقليدية ترافقها الموسيقى المحلية واللباس التقليدي للخيالة (HURABIELLE Jean, 1899:89-90,92, 94).

كانت تقام أيضا رحلات استجمام في الصحاري للسائحين، والكثير كان يمر على برج السعادة الذي يعتبر مكانا للاستراحة وعبر عن أهميته الرحالة دو فونتراس أثناء رحلته الثانية إلى المنطقة في 10سبتمبر 1896، إذ وصفه بقوله : «...كان هذا البرج مبنى عسكري مربع الشكل،وهو حصن شيدته السلطات العسكرية الفرنسية لإقامة الفرق العسكرية المتجهة من بسكرة إلى تقرت وعُين به قايد بأمر من الحكومة لفرض الأمن ومراقبة المنطقة. وكان هذا البرج مركز للعبور والاستراحة، يقصده الزوار الفرنسيون ويزودهم بالمؤن،...»، ويضيف واصفا الرحلة بالشيقة بقوله: «...في اليوم التالي جهز لنا شعبان رحلة في الصحراء وحضّرنا المؤونة من مأكل ومشرب تأهبا للمسير، فانطلقنا في الجبال المجاورة للقنطرة وعند وصولنا لبرج السعادة، ظللنا هناك مدة في الأعالي على ارتفاع 20 كلم، ثم وصلنا واحة الشقة لقضاء الليلة، هي واحة غنية بمصادر المياه تصب بها المياه النابعة من برج السعادة.

ومن بسكرة، وبالتالي تمثل الواحة الثانية الأكثر اخضرارا في المنطقة،وتنتشر بها حقول القمح لكن عند الخروج منها يتغير المنظر،... وكان السير عبر طريق مخطط يمر من خلاله يوميا بريد تقرت–بسكرة. يحيط بهذا الطريق بعض النباتات والأشجار البرية التي تمثل غذاءاً للماشية العابرة عبر هذا الطريق،...وكانت القوافل التجارية أيضا تمر من

هذا الطريق بأعداد كبيرة بعضها يتوجه لبسكرة محملا بالتمور، وبعضها يتجه نحو برج السعادة وتقرت محملا بالقمح...وانتشرت الآبار على طول الطريق وكان يرتوي منها المارة،...».

من خلال هذه الرحلة، رصد لنا الرحالة حياة البدو في الخيام المنتشرة في الصحاري، وكانوا يعتمدون في حياتهم اليومية على تربية المواشي ويتغذون على حليبها ولحومها والقمح المجلوب من مركز بسكرة،ولاحظ «دي فونتراس» أن غالبية السكان يعانون من أمراض العيون كباقي سكان الصحراء (Armand 51-53,57(DE) Rumet,1896FONTRACE). وجذبت بسكرة الزوار بمنتجعاتها الصحية إذ كان ينصح المكوث بها للتداوي وبرحلاتها السياحية ومصادر المتعة من تخييم، صيد وسباقات.

ب. الأغواط واحة جذب سياحي ووجهة للرحلات .

الأغواط من المناطق السياحية المفضلة للفرنسيين، وذلك منذ سقوطها في يد الاحتلال الفرنسي يوم 4 ديسمبر1852 بعد حصارها من قبل الجنرال بيليسيي (le Generalpélissier). إذ يعتبر هذا الحصار من أهم الأحداث التي ميزت تاريخ الحملات العسكرية وعمليات التوسع الاستعماري في الجنوب الجزائري (SAINT-FELIX (De) René, :70)

1865. وظل هذا الحدث متداولا بين الكُتاب والزوار وكان موضوع لوحة للرسام الفرنسي المشهور هوراس فارني (Horace Venet) عن سقوط مدينة الأغواط عام 1852(CHALON Jean, 1887: 95).

وجهت سلطات الاحتلال اهتمامها بالأغواط، وهذا لموقع المدينة الاستراتيجي كبوابة للصحراء ومركز لبسط المد الاستعماري ولتوفرها على مصادر مياه جوفية معتبرة. فالضابطين كاريتوروزي (Carette et Rozet)في حديثهما عن مصادر المياه الجوفية للمياه أكدا أن الأغواط مدينة مهمة وتعتبر مركز واحات القصور، تتلقى المياه من رافد يصبُ في واد الجدي ويعتبر مصدر أساسي للمياه الجوفية، وكان السكان يحصلون على المياه الجوفية سواء بحفر الآبار أو من الأودية(ROZET et : 150 CARETTE, 1850). وبالتالي توفرت المياه الجوفية الدائمة بالقصور والواحات وتستخدم للشرب والري،غير أن الفرنسيون وخِدمةً للمراكز العسكرية كان لزاما عليهم حفر آبار لتغطية احتياجاتهم من المياه(76,77 .(NOELLAT Vincent , 1882:

كما تجلت أهميها الاقتصادية في التجارة، إذ مثلت واحات الأغواط مراكز للتبادل التجاري النشط بين منتجات الصحراء ومنتجات المناطق الشمالية للبلاد،وبالتالي كانت هذه الواحات مركز التجارة بين

المنطقتين(GLEYZE A, 1913:121)وكانت شحنات السلع القادمة من منطقة الأغواط تجذب اهتمام الزوار إذ تحدث بول آدال (Paul Eudel) عن ذلك واصفا إحدى تلك شحنات الخاصة بالأحصنة العربية الأصيلة القادمة من الأغواط إلى العاصمة (EUDEL Paul, 1909 :42). وتنطلق من الأغواط عدة طرق تجارية باتجاه الصحراء لنقل التمور والأنسجة الصوفية المتعددة وريش النعام وغيرها من السلع المتنوعة مما يجعل هذه المدينة ذات أهمية اقتصادية وتجارية محضة(LALLEMAND : 201 .(Charles, 1891

تكمن أهمية المدينة في موقعها الاستراتيجي كما ذكرنا، إذ يحدها شمالا جبال العمور وشرقا أولاد نايل، وجنوبا بنو ميزاب، وغربا قبائل الأغواط كسال. وتضم عدة مدن وقرى تسكنها عديد القبائل، وبهاما بين سبعمائة إلى ثمانمائة بيت تنتشر بمحاذاة واد مزي شرقا(DAUMAS Eugène, /:6,17)، وبعد الاحتلال قامت السلطات بعمليات تهيئة للطرق والممرات وكان لسد مزي دور في تنمية الزراعة بالمنطقة إذ تم استغلال أكثر من 1000 هكتار.

ومثلت الأغواط مركز متقدم للاحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري، إذ تحتل مركز وسط وتقع على نفس المسافة بين الحدود

الشرقية والغربية للبلاد، وكانت مركز لقوات عسكرية قارة دائمة الاستعداد بجاهزية عالية، واختيرت كمركز لتكوين قوات المهري. وبالتالي كانت مركزا عسكريا وإداريا أساسيا يؤمن حراسة ومراقبة الجنوب ويُمون في وقت قصير القوات الفرنسية أثناء حملاتها، ويضمن تأمينا كليا لاحتياجاتهم دون تعريض الجنود إلى الأخطار في مواجهة قبائل الصحراء المتمردة(LALLEMAND Charles, : 201,205,206 1891).

كما اهتم الفرنسيون بالمعادن والثروات، إذ قام أوكتافلوكونت (Octave Le Comte)، وهو ضابط وصيدلي بتحليل تربة الأغواط، كما عمل على دراسة الثروات الحيوانية والنباتية للمنطقة، وقدم دراسات حول تكيف الثروة الحيوانية مع الطبيعة الصحراوية وأكد رفقة الكثير على أن الصحراء تخدم مصالح فرنسا وأوروبا بثرواتها (MAISTRE Jules, 1907 : 7,8, 9). وبذلك كانت الأغواط من أهم المدن التي جذبت الزوار بقصورها وواحتها، ومثلت منطقة استراتيجية للاستعمار في كل المجالات اقتصاديا بفضل المياه الجوفية والواحات وسياسيا كمجال جديد لتطبيق سياسة الاستيطان، وعسكريا كمنطقة أمنية تتحكم من خلالها في الصحراء واعتبارها قاعدة ومنطلق للحملات العسكرية جنوب الصحراء وبوابة إفريقيا.

ب.أ. طريق الأغواط.

مثلت طرق السكة الحديدية للأغواط بخطوطها المتعددة معالم سياحية للمسافرين ومنافذ برية هامة للتجارة العابرة للصحراء كالخط الذي ينطلق من الجزائر العاصمة باتجاه البليدة وصولا إلى الأغواط(14 : BLANC Édouard, 1890). ويرصد هذا الطريق مناظر طبيعية جذابة للمسافرين، إذ يستمتع الزائر بالمتيجة والشفة وجبال مدية المخضرة وجنوب بوغار والهضبة الكبيرة للجلفة وأخيرا الأغواط. وتتفرع من الأغواط عدة طرق باتجاه الصحراء جنوبا إلى واد ميزاب وورقلة، وشرقا باتجاه بسكرة وأولاد نايل وغربا باتجاه البيض وأولاد سيدي الشيخ، وهنا تكمن الأهمية الإستراتيجية للأغواط بطرقها التجارية التي تمثل عصب الاقتصاد بين المناطق الشمالية والجنوبية.

عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على ربط وشق الطرق وإنشاء ومد خطوط السكة الحديدية باتجاه الأغواط باعتبارها منطقة استراتيجية (LALLEMAND Charles, 1891:194,198) . وعرفت الواحات الموازية والمحاذية لهذه الطرق نموا اقتصاديا ملحوظا وفكا للعزلة، كما ساهمت في ربط عدة واحات بعضها البعض مما رفع من نسب المبادلات التجارية الداخلية بين هذه الواحات (HURABIELLE Jean, : 156

1899)، كما سهلت هذه الطرق السفر إلى الصحراء الشرقية وفتحت الباب للزوار الراغبين في السفر إليها(SOUGUENET Léon, :163 /)والمعروف أنه كانت هنالك ثلاث خطوط رئيسية للسكك الحديدية تربط المناطق الشمالية بالصحراء:خط قسنطينة باتجاه بسكرة خط العاصمة باتجاه الأغواط وخط ثالث يربط وهران ببشار. ومن بين هذه الخطوط الثلاث نجد أن طريق العاصمة-الأغواط هو الأكثر أهمية واستخداما من المسافرين إذ يمر بغرداية والمنيعة(MAISTRE :3,4 Jules, 1907)، وبتفصيل أكثر خط العاصمة-الأغواط عبر المدية يُعرف بالطريق رقم 8، وخط الأغواط-بوسعادة يعرف بالطريق رقم 9 وخط الأغواط-ورقلة الطريق رقم 10(PIESSE Louis, :103,120,121 1882).

وتطور السفر من العاصمة باتجاه الأغواط بفضل توصيل خط السكة الحديدية، إذ أصبحت الرحلة تستغرق أربعة أيام فقط نهاية القرن التاسع عشر. في حين قبلا كانت تدوم أربع أضعاف المدة، مثلا في سنة 1844تاريخ أول حملة عسكرية ضد المنطقة في شهر ماي استغرقت خمسة عشر يوما كما يبينها الضابط دوماس في كتابه عن الصحراء الجزائرية عكس الوضع بعد شق الطرق ومد السكة الحديدية (DAUMAS /: 16 .(Eugene,

وأصبحت أعداد كبيرة من الزوار تتجه للأغواط، إذ ساهم خط السكة الحديدية الرابط بين العاصمة والأغواط، وكذا نزل السيلستان (Célestin) ببوغار الذي يستقبل الزوار المتجهين للأغواط في زيادة عدد الزوار(EUDEL Paul, 1909 :316) . وهذا ما رصده أحد الرحالة خلال رحلته من العاصمة في القطار عبر خط السكة الرابط العاصمة بالأغواط بوصف المناطق من المدية إلى بوغار مرورا بالجلفة وصولا إلى مدينة الأغواط ذات الألف نخلة وقصورها (CHALON Jean, : 95 1887).

وسمحت هذه الشبكة من خطوط السكة الحديدية للكثير من زيارة المناطق الصحراوية انطلاقا من العاصمة وصولا إلى المدن الداخلية الصحراوية، والتعرف على البلاد والسكان والعادات والتقاليد وتدوين ورصد الحياة الاجتماعية. وكذلك خدمت أهداف الإدارة الاستعمارية بوضع أسس سياسة الاستيطان الأوروبي بهذه المناطق، بعد ما كان الاستيطان محصور في المناطق الشمالية الخصبة أو السهول والهضاب وبالتالي فتح الاستعمار باب جديد لتوطين المعمرين في الواحات وتوسيع الاستيطان.

ب .ب. صورة الأغواط في كتابات الرحلة.

تتميز مدينة الأغواط بموقعها الاستراتيجي إذ تقع على بعد 448 كلم جنوب الجزائر العاصمة وعلو 741 متر على مستوى سطح البحر(GUIDE PRATIQUES Conty, 1901: 155)وهي مدينة عربية كبيرة وجميلة ومركز تجمع سكاني أهلي مبنية على مرتفعين بمدرجين متقابلين، بها بساتين النخيل والأشجار المثمرة (202,206: LALLEMAND Charles, 1891). وتضم المدينة كما ذكرنا غابة نخيل بها منازل مُسورة بعمارة مُميزة لكن عقب دخول الاحتلال الفرنسي إلى المنطقة تغيرت ملامح المدينة عمرانيا أدخلت عليها أبنية دخيلة كبناء ساحات وأحياء فرنسية (GUIDE PRATIQUES : 159 Conty, 1901).

وأول محاولة فرنسية لاحتلال المدينة كانت سنة 1844 بقياده الجنرال ماري مونج (Le GénéralMarey–Monge) ليكون سقوط المدينة في يد الاحتلال بعد حصار سنة 1852(PIESSE : 116, 117 Louis, 1882). وفي ما بعد أصبحت بلدية مختلطة في 6 نوفمبر 1868 وكانت تضم 4.304نسمة منهم30926 أهلي 194 يهودي، 110 فرنسي و227 أجنبي.

وكانت المدينة على شكل قصور بها قرابة سبعمائة منزل مبنية بالطين المجفف، بكل بيت ساحة داخلية وباب خارجي منخفض مسنودة بالبيوت المجاورة ومتراصة ببعضها البعض. ويعتبر هذا التصميم من البناءات مُميز ويُمثل قصر بن سالم نموذجا مُميزا لهذا النوع من العمران وهو حصن به أربع بيوت كبيرة ذات طابقين مجتمعة حولها البيوت، وتطل أسطحها على جزء مهم من المدينة وبه أربع مساجد وفندق وسوق مغلق للسلع. والأغواط مقسمة إلى قسمين يسكن كل جزء فرع قبيلة تفصلهما ساحة بها النخيل، والقصر يحيط به صور بارتفاع أربعة أمتار ومُسور بدورين لتعزيز الحماية والتحصين يصل ارتفاعهما إلى ثمانية أمتار تتخللها أربعة أبواب.

بالمدينة عدة أحياء منهارة كحي أولاد زرين الذي كان مهملا، وبعد أربعة عشر شهرا من الاحتلال، فقط بدأت معالم الوجود الفرنسي تبرز بوضوح على شكل أبنية ذات طراز أوروبي كمنزل القائد الأعلى للدائرة. كما تم الاستيلاء على عدد كبير من بيوت الأهالي وهُيئت للضباط والقوات العسكرية والمعمرين من المرافقين العاملين والطباخين، مما خلق صورة متداخلة ومتمازجة بين الأهالي المسلمين والمعمرين بأزياء محلية وأجنبية فأصبحت شوارع المدينة بمظهر غير تقليدي .(TRUMELET Corneille, 1863:410,411)

وقام الكاتب والرسام الفرنسي كما ذكرنا أعلاه أوجان فرومونتان (Eugène Fromentin) برحلة لمدينة الأغواط إذ تحدث بإسهاب عنها،ويعتبر أوجين فرومونتان من أهم الشخصيات التي زارت البلاد وكتبت عنها. فكانت رحلته عام 1853 عنونها بـصيف في الصحراء،وبدأ الرحلة من المدية إلى الأغواط ووصف طريق الرحلة لـ: بلاد العطش كما يسميها وصفا دقيقا منذ وصوله إلى مشارف الصحراء واقترابه من الأغواط، إذ توقف في عدة نقاط يأخذ ملاحظات ويرسم لوحات للمنطقة، ففي بوغار ياستضافه القائد سيدي الجيلالي ووصف الضيفة وأشاد بكرم سكان الصحراء.

وصل الأغواط يوم 3 جوان، أول ما لاحظه هو المقبرة التي تتقدمها كما خارج الأسوار ككل المدن العربية، وصفها بدقة وعبر عن إعجابه الشديد بعمرانها، فهي مدينة مُحصنة تتخللها البساتين المنتشرة بكثرة وتحيط بأسوار كل قصر بالمدينة (FROMENTIN :10,16,89,100,105 Eugene, 1856). وتكتسي هذه الرحلة أهمية علمية بحثة بما تحتويه من معلومات دقيقة تساهم في كتابة التاريخ الاجتماعي لسكان واحة الأغواط، إذ رصد الكاتب المجتمع ووثق ملاحظاته في كتابات رحلة ولوحات فنية مميزة عن المنطقة خصوصا باعتباره من روادها ومحبيها، واشتهر بتسميته لهذه المنطقة ببلاد العطش.

خاتمة:

من خلال ما تقدم نخلص إلى نتائج بحثية تخص موضوع الدراسة، فبالنسبة للقصور مثلت موروث ثقافي ذات طابع عمراني خاص بالمنطقة الصحراوية وتتماشى هذه الخصوصيات العمرانية وطبيعة وطبوغرافية المنطقة ومناخها وتمثل القلب النابض للصحراء. كما اعتبرت القصور مراكز اقتصادية للسكان ساهمت في تنشيط الحركة التجارية الداخلية والخارجية للمنطقة، وتحولت إلى مراكز استقطاب للزوار الفرنسيين والأوروبيين خاصة بفتح سلطات الاستعمار الباب للمعمرين وتنشيط الحركة الاستيطانية بالمنطقة وبالتالي تعتبر القصور مناطق حيوية اقتصاديا.

بالنسبة للمدن نستنتج الأهمية الاستراتيجية لمدينة بسكرة كمركز اقتصادي أثناء فترة الاستعمار الفرنسي،ونرصد مكانتها السياحية إذ مثلت منتجع شتوي جذب الزوار الأوروبيين وأقيمت بها مخيمات بريطانية وسويدية وهولندية وأمريكية وألمانية وفرنسية. وكان لبروز الطراز العمراني الأوروبي الذي عوض البنايات التقليدية المحلية في ظل الاستيطان الأوروبي وبناء الفنادق الذي ارتبط بالحركة السياحية

الترويجية للمنطقة في إطار التشجيع الفرنسي للاستيطان بالصحراء وبذلك تغيرت خريطة المجال لعديد المناطق ببسكرة.

كان لثقافة سكان بسكرة الواسعة باعتبار أنهم عاشوا في مركز حضاري وبالتالي انفتاحهم على الآخر ما يجسد التواصل الفكري والحضاري دور ريادي في تطوير الحركة التجارية المرتبطة بتطور السياحة الشتوية وسياحة الصيد والسباق. وفي ما يخص الأغواط فقد قامت سلطات الاحتلال بشق الطرق نحو الصحراء،خاصة طريق الجزائر العاصمة-الأغواط وكان لخطوط السكة الحديدية دور في تشجيع السياحة نحو الجنوب وبالتالي فتح أبواب الاستيطان للسواح الفرنسيين والأوروبيين ومثلت الرحلات السياحة حملات دعائية لتشجيع الاستيطان في الواحات. والملاحظ هو تعدد وتنوع الرحلات التي قام بها أدباء ومثقفين ورسامين إلى هذه المنطقة ومساهمتها في توثيق ورصد الحياة الاجتماعية.

وفي الأخير نستنتج أن المناطق الصحراوية مثلت مناطق جذب منذ القدم، وفي فترة الاحتلال الفرنسي أصبحت منتجعات سياحية بامتياز وكان لكتابات الرحلة دور تعريفي كبير بالمنطقة وإبراز إمكانياتها الاقتصادية والتي عملت الإدارة الفرنسية على استغلالها والاستفادة منها

اقتصاديا باعتبارها منطقة تتمتع بمقومات اقتصادية هامة تساهم في ترقية وتطوير الاستثمار السياحي في البلاد والذي يرتكز على الموروث الثقافي والحضاري، الذي يستوجب تثمينه والحفاظ عليه.

المراجع:

1-BARAUDON Alfred. (1893). Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes. Paris: Librairie Plon.

2-BLANC Édouard. (1890). Les Routes De L'Afrique Septentrionale Au Soudan. Paris : Société De Géographie.

3-CHALON Jean. (1887). Souvenir D'Alger. Bruxelles : Librairie Classique.

4-CHARMETANT Félix (Le Père). (1875). Les peuplades Kabyles et Les Tribus Nomades Du Sahara. Montréal : Des Presses à Vapeur De La Minerve.

5-DAUMAS (le Général). (1853). Mœurs et Coutumes de l'Algérie Tell-Kabyle-Sahara. Paris : Librairie de L. Hachette et c^{ie}.

6- DAUMAS (M. Le lieutenant–Colonel). (/). Le Sahara Algérien Etudes Géographiques, Statistiques et Historique Sur La région Au Sud Des Etablissements Français. Paris : Langlois et Leclercq.

7-EUDEL Paul. (1909). Hivernage en Algérie. Paris : Bibliothèque nationale.

8-FALLOT Ernest. (1887). Par-Delà La Méditerranée Kabyle – Aurès – Kroumirie. Paris : Librairie Plon.

9-Fontarce (de) Armand Rumet. (1896). Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle, journal de voyage. Bar-Sur-Seine : imprimerie V° C. Saillard ,éditeur

10-FROMENTIN Eugène. (1856). Un Eté Dans Le Sahara. Paris : Librairie Plon.

11-GASCARD A. (1889). Compte-rendu d'une Excursion en Algérie. Rouen : Imprimerie Emile deshays et c^{ie}.

12-GLEYZE A. (1913) .Géographie Elémentaire De L'Afrique Du Nord, (Maroc, Algérie, Tunisie). Marseille : Librairie Ferran Jeune.

13-GROS Jules. (1888). Paul Soleill et En Afrique. Paris : A.Picard et Kaan.

14-GUIDE PRATIQUES CONTY. (1901). Algérie-Tunisie. Paris : Administration De Guides Conty.

15-HURABIELLE Jean. (L'Abbé). (1899). Au pays Du Bleu Biskra et Les oasis Environnantes. Paris : Augustin Challamel, éditeur.

16-JACQUOT Félix. (Le Docteur). (1849). Expédition Du général Cavaignac Dans Le Sahara Algérien En Avril Et Mai 1847, Relation Du Voyage, Exploration scientifique, Souvenirs, Impressions. Etc... Paris : Gide et J.Baudry, Libraires éditeurs.

17-LALLEMAND Charles. (1891). L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest -Algérien Lignes de L'ouest-Algérien et De la c^{ie} Franco-Algérienne. Paris : Challamel et c^{ie} éditeurs.

18-Maistre Jules. (1907). L'Europe et Le Sahara. Montpellier : Imprimerie De La Manufacture de La Charité.

19-MARMIER Xavier. (1847). Lettres Sur L'Algérie. Paris : Arthus Bertrand, éditeurs.

20-NOEL LAT Vincent, (Le Colonel). (1882). L'Algérie En 1882. Paris : Librairie Militaire De J. Dumaine.

21-ODILON Niel. (1876). Géographie de l'Algérie, T1, (2e éd.). Bône : imprimerie Dagand.

22-PIESSE Louis. (1882). Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger. Paris : Librairie Hachette Et c^{ie}.

23- ROZET et CARETTE. (1850). L'Algérie, L'Univers ou Histoire et Description De Tous Les Peuples, De Leurs Religions, Mœurs, Coutumes, Etc. Paris : Firman didot frères, éditeurs.

24-SAINT-FÉLIX (De), René. (1865). Le Voyage de S.M L'Empreur NAPOLEON III En Algérie, Paris : Eug.Pick, De L'Isère, éditeur.

25-Soleillet, Paul. (1877). L'Afrique occidentale Algérie, Mzab, Tildikelt, Avignon : Imprimerie De F.Seguin Aîné.

26-Souguenet, Léon.(/). La Route De Timmimoun Heures Algériennes, Bruxelles : Oscar Lamberty, éditeur.

27-Trumelet, C. (1863). Les Français Dans Le Désert Journal D'une Expédition Aux Limites Du Sahara Algérien,

Paris: Garnier Frères, Libraires-éditeurs